

الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة

الدكتور ناصر الدين الأسد
القاهرة

وعلى هذا يمكن أن نقول أن ندوتنا هذه تهدف إلى الكشف عن تلك العناصر الباقية في الثقافة العربية التي يحس العربي من خلالها أنه ينتمي إلى أمة متميزة في روحها وطابعها العام ، وأن هناك من الوشائج الوجدانية والفكرية ما يربطه بتاريخ هذه الثقافة وبعرض وجوه تراثها التي ما زال يجد فيها صدى لشعوره وتفكيره و « روح » حياته بوجه عام . ثم تهدف الندوة بعد هذا إلى دراسة التقاء هذه الأصول بحضارة العصر الحديث وبيان ما تم من تفاعل بينهما وما خلقه هذا اللقاء من قضايا ومشكلات أثرت على الأدب العربي والثقافة العربية في أشكالها ومضامينها وطريقة أدراكها للحياة واسلوبها في التعبير عنها . ومن خلال تلك الدراسة يمكن أن نتبين مواطن السلامة في هذا اللقاء ومواطن الزلل الناتج أحيانا عن فهم « الأصالة » بمعنى الجمود على القديم ، وأحيانا عن فهم التجديد بمعنى نبذ أصول الثقافة العربية نبذا تاما واحتضان كل جديد مهما تكن طبيعته ، بكثير من الاسراف والاندفاع .

والحق أن الأصالة - كما بين منظمو الندوة - لا تعني المحافظة ولا التمسك المطلق بكل التراث . فمن التراث ما أصبح مجرد تاريخ للامة لا يمثل إلا حلقة ثابتة في مكانها من ذلك التاريخ ، ومنه ما يمثل تيارا ناميا ممتدا يعكس روح الامة ويمكن الانتفاع به في كل العصور . كما أن التجديد لا يعني التسليم المطلق بكل ما يظهر من اتجاهات جديدة في الأدب والثقافة . بل لا بد أن نطرح في معرض تقويم كل جديد سؤالين ضروريين :

أقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال شهر أكتوبر 1971 بالقاهرة ندوة علمية للدراسة مفهوم الأصالة والتجديد ، وقد أبرز المشرفون عليها وفي طليعتهم صديقنا العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد مغزى هذا اللقاء فلاحظوا أن المراد بالأصالة - عادة - إذا وصف بها عمل ثقافي أو أدبي ما - التميز والتفرد وإضافة جديد قيم في مجال ذلك العمل وإن للأصالة معنى آخر يرد من أصل الكلمة اللغوي ، ويدل على أن العمل الثقافي أو الأدبي يستمد بعض مقوماته من الأصول اللغوية والفنية والفكرية - أو الحضارية بوجه عام - للغة والامة التي ينتمي إليها هذا العمل ، فلكل أمة « روحها » الخاصة وطابعها المميز اللذان يشيعان في نتاجها الثقافي مهما تختلف الإشكال أو المضامين على مر العصور . ومن تراث كل أمة حياة يبقى دائما بعض العناصر الإيجابية القادرة على الامتداد عبر العصور ، تربط بين ماضي الامة وحاضرها وتهيئ لثقافتها المعاصرة جذورا تنمو بها و « أصولا » تقوم عليها .

وواضح أن هذا المعنى ليس بعيدا عن المعنى الأول للأصالة وكلاهما يرتبط بالتميز والتفرد ، لكن المعنى الأول يدور في الغالب حول تقويم أديب أو عمل أدبي وبيان وجوه تميزه وامتيازته وما أضافه أو ابتكره ، على حين يقصد الاستعمال الثاني إلى الكشف عن مقومات ثقافة أمة ما ، وبيان تلك العناصر النامية الممتدة مدى العصور لهذه الثقافة ومقدار مرونتها وقدرتها على مواجهة الظروف المتغيرة .

1 - هل نبع هذا الجديد من حاجة حقيقية لا بد للمجتمع العربي الحديث من تحقيقها .

2 - هل ارضت النماذج الثقافية او الادبية لهذا الجديد تلك الحاجة .

ومن خلال الجواب عن هذين السؤالين نستطيع ان نمحص الجديد لنعرف اهو استجابة حقيقية لظروف عامة في المجتمع ام هو نزعات فرعية او تيارات ثانوية او بدعة من البدع . فالاصالة والتجديد - بالمعنى السليم لهما - ليسا متناقضين بل هما قى الحقيقة متكاملان .

ولا شك ان الندوة لن تكتفي بالرصد التاريخي لمواطن اللقاء بين الاصالة والتجديد ، بل سيكون من اهم اهدافها تقويم تلك المواطن التي تم فيها تفاعل سليم وتوازن معقول بين روح الاصالة وروح المعاصرة، والمواطن التي انحرف فيها اللقاء انحرافا عطل سير التطور او التقدّم نتيجة سوء فهم لمعنى الاصالة او لمعنى المعاصرة والتجديد ، حتى يمكن من خلال ذلك الاهتداء الى اسلوب سليم في مواجهة طبيعة العصر الذي تعيشه الامة العربية من الناحية الثقافية والادبية.

ويزيد من ضرورة التقويم ومن ضرورة البحث من اسلم الاساليب لهذه المواجهة ، ان الامة العربية ما زالت تعاني مشكلات اللقاء بين « الاصالة » و « التجديد » في صورة حادة لم تخفف من حدتها كثيرا عشرات السنوات التي انقضت منذ بدأت الامة نهضتها الحديثة . فما زالت الامة حتى الآن تعاني مخاض الحياة العصرية ، وما زال بين المثقفين والادباء خلاف واضح حول مفاهيم الاصالة والتراث والمحافظة والتقاليد والتجديد والعصرية . ويزيد الصورة حدة على حدة اتنا - رغم انقضاء تلك السنين الطويلة - ما زلنا مضطرين الى ان نأخذ الكثير من الاشكال الادبية والمضامين الفكرية من أمم سبقتنا في مضمار النهضة الحديثة ، وعلينا دائما ان نحاول التوفيق بين الجديد وبين المقومات الاصيلية في ثقافتنا العربية .

في مفهوم الثقافة

تناول « الثقافة » بمعناها الواسع كثيرا من جوانب حياة الامة ، وتشمل : تقاليدها وعقائدها وتراثها وانماط سلوكها واتجاهها الفكرية وفنونها المختلفة من تشكيلية وادائية وشعبية الخ ...

ولما كان بحث كل هذه الميادين في مؤتمر واحد سيؤدي بالضرورة الى تشعب الموضوعات وتشتت

المناقشات ، وحرصا على ان تناح الفرصة لاهضاء المؤتمر للتركيز على جوانب محددة والتمق في بحثها ومناقشتها ، رؤى حصر موضوع المؤتمر في « الفنون القولية » وحدها دون غيرها من ميادين « الثقافة » على ان تكون بقية الميادين موضوعات بحث في مؤتمرات قادمة .

وتشمل « الفنون القولية » : الشعر ، والقصة والرواية ، والمسرحية ، والمقال الادبي ، والنقد الادبي ، والرحلات والسير ، واللغة من حيث هي أداة التعبير ووسيلة في هذه الفنون القولية .

ويتوخى المؤتمر من بحثه لموضوعات الاصالة والتجديد في الفنون القولية المختلفة ان يربط بين هذه الفنون وطبيعة الحياة العربية ، وان يضعها في موضعها بين المقومات والميادين الاخرى للثقافة العربية ، دون الاقتصار على النظر اليها بوصفها فنا خالصا مستقلا عن التيارات الحضارية الاخرى .

في مفهوم « المعاصرة »

اما « المعاصرة » في عنوان هذا المؤتمر فتتسع لتشمل النهضة الادبية الحديثة منذ اواخر القرن التاسع عشر الميلادي حتى وقتنا الحاضر .



وقد درس المؤتمر النقاط الآتية :

- 1 - مفهوم الاصالة والتجديد والثقافة العربية المعاصرة (عرض لتحديد الدلالات)
- 2 - خصائص الثقافة العربية ومقوماتها .
- 3 - موقف الثقافة العربية الحديثة في مواجهة العصر (عرض وصفي حضاري)
- 4 - الاصالة والتجديد في الشعر العربي الحديث .
- 5 - الاصالة والتجديد في القصة والرواية .
- 6 - الاصالة والتجديد في المسرحية .
- 7 - الاصالة والتجديد في المقال الادبي .
- 8 - الاصالة والتجديد في النقد الادبي .
- 9 - الاصالة والتجديد في الرحلات والسير (التراجم والتراجم الذاتية)
- 10 - محاضرات وندوات في اللغة تتناول الموضوعات التالية :

- أ - المصطلحات والتعريب .
- ب - اللغة والادب في مراحل التعليم العام .
- ج - لغة الاعلام (الصحافة والاذاعة) .